

# قرآنتى العدد الماضى من «الأدبى»

## الأبحاث

بقلم : السيد يس \*

\*\*\*

حفل العدد الماضى من الآداب بعدد من الأبحاث الهامة التى تناولت موضوعات علمية وفلسفية وأدبية وسياسية . وتشير بعض هذه الأبحاث عدة قضايا على أكبر جانب من الأهمية بالنظر الى تطورنا الفكرى ، ومن ثم يجب أن نغف عنها متأملين حتى نضعها موضعها الصحيح .

١ - واول ما يطلعنا فى العدد الماضى من أبحاث مقال صغير للدكتور اباد الفزاز ليس بحثا فى ذاته ولكنه دعوة واعية ومخلصة وذكية لإنشاء معاهد علمية تتناول دراسة مختلف جوانب منطقة الشرق الاوسط . وينطلق الدكتور الفزاز من ملاحظة واقعية مبناها ان جامعاتنا العربية - على الرغم من زيادة أعدادها عاما بعد عام ومن تطورها ونموها - لا تضم اي معهد خاص لدراسة البلاد العربية وبلاد الشرق الاوسط . بل ان دراسات المجتمع العربى كمادة علمية لم تدخل برامج هذه الجامعات الا فى السنوات الاخيرة . وقد نجم عن ذلك ظهور سيل من الكتب الجامعية بعنوان « المجتمع العربى » غير ان اغلب هذه الكتب للأسف - وكما يقرر الدكتور الفزاز بحق - يسودها الاضطراب وتخلو من التحليل العلمى الدقيق . غير ان هناك عيبا آخر يسهل لمن يطالع هذه الكتب بروح نقدية أن يلمسه . ذلك ان هذه الكتب ألفها اساتذة فى الجغرافيا والتاريخ والسياسة والاقتصاد والاجتماع والقانون احيانا . وكان من نتيجة ذلك فقدان النظرة التكاملية فى دراسة المجتمع العربى . فاستاذ الجغرافيا يدرس الموضوع اساسا من زاوية تخصصه ولا يعير الجوانب الأخرى الا اهتماما عابرا ، وكذلك استاذ التاريخ والاقتصاد والاجتماع . وقد يكون هذا السلك مبررا من وجهة النظر العلمية . فليس هناك من سبيل للتخصص فى فرع معين ان يسير بقدم واثقة فى دروب كل الفروع العلمية الأخرى .

ولكن خطورة مثل هذه الكتب انها لا تعطي دارسيها من الطلبة الجامعيين المنظور السليم للمجتمع العربى ولشكالاته المتعددة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية والاجتماعية . ولذلك كان من الأنسب ان تكون « فرق بحث » من الاساتذة الذين يتنمون الى التخصصات المختلفة لاجراء دراسات شاملة تتميز بالعمق وبتكامل النظرة معا . غير ان هذا الاجراء - وان اتبعه عدد من الاساتذة المصريين فعلا - ليس من السهل تعميمه ، فالبحث العلمى ما زال فى بلادنا يقوم على الفردية لا على الجماعية ، غير ان هذه قضية اخرى ، وان كانت تدخل فى صميم الموضوع الذى يعرضه الدكتور الفزاز .

وقد اشار الدكتور الفزاز الى انه توجد فى اسرائيل معاهد متخصصة فى دراسة بلدان الشرق الاوسط ، وكذلك فى الولايات المتحدة الامريكية وفى أوروبا . وضرب امثلة على المراجع البالغة الأهمية التى تصدر عن هذه المعاهد والتسى تتناول بالتحليل العلمى الدقيق مختلف الظواهر السياسية والاجتماعية فى البلاد العربية . والواقع ان كل من اتبع له متابعة حركة النشر والتأليف فى

(\*) أضيف الى اسمى فى العدد الماضى خطأ لقب « الدكتور » الذى لم أشرف بالحصول عليه بعد ! لذا لزم التنويه .

ميادين علوم الاقتصاد والسياسة والاجتماع لبروعه الدراسات والكتب والمراجع التى تصدر من هذه المعاهد وغيرها ، والتسى تتناول ادق المشكلات الراهنة فى البلاد العربية مستندة فى ذلك الى ادق المصادر . ومن هنا نكتسب دعوة الدكتور الفزاز الواعية كل اهميتها .

وبالرغم من اننا نقدر هذه الدعوة ونرى أهمية تبنيتها وتطبيقها ، فاننا لو نظرنا الى الموضوع نظرة أرحب وأعم ، وناقشناه من اطار وضع العلوم الاجتماعية والانسانية فى البلاد العربية ، لادركنا ان مجرد انشاء هذه المعاهد وتعيين عدد من الباحثين المؤهلين فيها لن يحل المشكلة حلا كاملا ، وذلك كله يتضح اذا ما حللنا الاوضاع السائدة فى البلاد العربية والتي تعد من نمو الفكر العلمى .

ان ما يشير اليه الدكتور الفزاز من مراجع علمية قيمة بما تتضمنه من منهج علمى دقيق ، وتقاليذ اكاىيمية رفيعة ، ليس سوى حصيلة عشرات السنين من الصراع الفكرى والعلمى والسياسى فى البلاد الاوروبية . ان هذا التقدم العلمى جزء من كل أعم ، يشمل التقدم السياسى والاجتماعى والاقتصادى .

وكما اننا متخلفون اقتصاديا واجتماعيا فنحن كذلك متخلفون علميا . وغاية ما أريد أن اركز عليه هنا ان التقدم العلمى الذى ينشده الدكتور الفزاز وغيره من الباحثين العرب الجادين المخلصين رهين بتعمق مجرى الثورة العربية بكافة ابعادها ومن كل الميادين .

ما زلنا فى البلاد العربية ، واقصد المثقفين ، نرتدى الاقنعة ونحكم ربطها حتى لا تكشف عن معتقداتنا وافكارنا الحقيقية . ما زلنا نتحدث بين انفسنا وفى الجماعات الصغيرة المفلتة بلغة ، واذا خرجنا لكي نخاطب المجتمع تحدثنا بلغة اخرى . ما زال لمجتمعنا التقليدى سطوة رهيبية على مشاريعنا الفكرية وعلى ما نريد ان نقدمه من انتاج علمى وفكرى حتى يخرج هذا المجتمع من وهدة التخلف الثقافى والاجتماعى الى آفاق التقدم الرحبة .

وما زالت « السلطة » فى مجتمعنا التقليدى ولا اقصد بالسلطة هنا مجرد جهاز الدولة ولكن أيضا الاعراف والتقاليد والعادات - تمارس بوسائل متعددة ضغطها على المثقفين والباحثين العلميين حتى لا يتحركوا الا فى دوائر صغيرة مرسومة لهم سلفا .

ان علامة اكيدة من علامات التقدم ، الا يكون أي جانب من جوانب المجتمع « تابو » ( أمرا محرما ) يستعصى على الدراسة العلمية والتناول الموضوعى . غير ان ذلك فى الواقع يحتاج الى جهود طويلة مضيئة من اجيال من الباحثين العرب . غير ان هذه الجهود لن يتاح لها ان تثمر الا اذا التحم هؤلاء الباحثون مع كل قوى المثقفين فى حركة واحدة . ولن يتاح لهذه الحركة ان تشق طريقها الا اذا تبنت منهجا فكريا نقديا ، يتيح لها دراسة الواقع الاجتماعى والاقتصادى العربى فى حيويته وعيبيته ، بغير تعصب نظرى ساذج . غير ان هذا حديث يطول الكلام فيه ، وقد نعود لمعالجته بصورة اوفى فى مناسبة اخرى . وتحيية للدكتور الفزاز الذى فتح باب المناقشة فى هذا الموضوع الهام ، ونرجو له عودة حميدة الى الوطن العربى حتى ينضم الى كتائب الباحثين العلميين العرب الذين يبحثون بجد واخلاص عن الطريق الصحيح الذى ينبغي ان يختاروه ويسيروا فيه من بين عشرات الطرق المفتوحة .

٢ - وقد نشرت « الآداب » - او بعبارة اصح - اعدت نشر مقالة

في وقتها تجيء هذه الصرخة الحارة « انفتونا من هذا الحب القاسي » ، لشاعر المقاومة محمود درويش ، تلك التي نشرتها مجلة « الجديد » التي تصدر في اسرائيل ، والتي نقلتها « الآداب » في عددها الماضي . وهي تشير الى الحب النقدي المرفه الذي يتمتع به الشاعر ، والى وعيه بأبعاد الحركة الأدبية في الوطن العربي كله . في وقتها تجيء ، لتفجر فينا - نحن الذين نتلف شعر المقاومة - وعيا عميقا بضرورة إعادة تأمل هذه الموجة الكاسحة من الاهتمام والتعاطف التي نوليها أجهزة الاعلام العربية ، لشعر المقاومة داخل الارض المحتلة . هذا الاهتمام والتعاطف اللذان اصبحا يشكلان ظاهرة جديدة ، يخشى منها حتى على شعر المقاومة نفسه ، عندما لا يستطيع الناقد العربي - بتعبير محمود درويش - التخلص من الخضوع التام لدوافع العطف السياسي وحدها على اصحاب هذه الحركة ، وعندما لا توضع هذه الحركة الشعرية في مكانها الصحيح من الحركة الشعرية العربية المعاصرة كلها .

ولقد كان ذلك طبيعيا .. وما يزال . ان تستقبل الامة العربية ، هذه الحركة الشعرية - التي اكتشفتها دفعة واحدة - بهذا المزيج من الفرح والدهشة والاكبار ، وان سقط عليها الكثير من حاجتها الى البطولة والابطال ، في لحظات المحنة القاسية ، وان ترى فيها شعاع الامل القوي ، يشد الى مشارف الضوء الواعد الوجود العربي كله داخل الارض المحتلة ، والاحتجاج العربي العنيف على طغيان المد الصهيوني الاستعماري . وفي مساحة قصيرة من الزمان ، اصبح صوت المقاومة العربية داخل الارض المحتلة ، هو نفسه صوت التحول العربي الكبير من قاع الهزيمة والقنوط الى اكمة التماسك والتوازن والانطلاق . ولم لا ؟ ان الذين يعيشون بالفعل وجودهم اليومي داخل اسوار السجن الكبير يعلموننا معنى الحرية ، والذين يحيون بالفعل تجربة الصدام المباشر مع واقع النكبة والنكسة يلهموننا معنى الامل ، والذين يواجهون بالفعل طوفان المد الغاشم يرفعون لينا - نحن الفرقي - بيارق النجاح . وتجيء صرخة محمود درويش ، لتنبهنا الى ضرورة ان يعتدل الميزان ، وتستقيم الاحكام ، وتزول نفسية الاسقاط والمغالاة .

فليس اخطر - على شعراء المقاومة - من وضعهم على امتداد مساحة الشعر العربي المعاصر كلها ، وكانهم منقطعون ابدا عن حركة الشعر في البلاد العربية .

وليس اخطر من ادمان النظر اليهم بمنطق العطف والتقدير السياسي ، فقد آن الاوان - كما يقول محمود درويش - لاجراء عملية موازنة ، بالتاكيد على استخدام المعايير الفنية ، لا السياسية وحدها . وليس اخطر من ان يقوم بعض شعراء المقاومة الناشئين بعملية تصميم قصائدهم وفقا لمقاييس غريبة عن الصدق ، وكانهم - كما يقول محمود درويش - يستوحون قصائدهم من تصورهم لكيفية استقبال الاذاعات العربية لها .

ولكن ، بعيدا عن هذه المحاذير ، بعيدا عن هذه المراجعة الواعية ، بعيدا عن هذا النقد الذاتي الفريد ، الذي تندفق به صرخة محمود درويش ، بعيدا عن هذا كله ، يبقى ان نقول ، ان هذا الشعر ، شعر المقاومة داخل الارض المحتلة ، قد وضع ابدنا بالفعل على المحك الحقيقي : بين ما هو شعر ولا شعر ، بين ما هو صادق وغير صادق ، بين ما هو طبيعي اصيل متدفق وما هو شائه بالغ الافتعال والاصطناع . وعلى ضوء هذا المحك الصادق ، اصبح نموذج شعر المقاومة ، في طعمه ومذاقه الخاص ، وفي سمائه وخصائصه العامة ، مفتاحا جديدا للرؤية الشعرية والنقدية ، وتحولا بالغ الخطورة فسي ذوق الملقي ،

فبالقياس الى هذا الشعر الحقيقي اصبح للكثير ممن قصائد شعرائنا طعم الملح ، وعجز البعض من شعرائنا عن ان يبهجوننا - كما تفهم - وتجاوزهم ، واستنحال الكثير مما كنا نجد فيه - من قبل - متعة وطرافة ، الى صفحات من العقم والجذب والجفاف .. باختصار ، لقد حجب عنا شعر المقاومة ، كل ما هو تافه وساقط وذليل ، واسقط من عينونا كل ما هو بورجوازي متورم ، محشو بالفكر الخائب ، والتأمل الرخيص ..

اين يقع شعر العدد الماضي من الآداب ، من هذا كله ؟ .. في البداية ، نطالع « البيت الاخير في القصيدة » و « اعرف من أين » لشاعر المقاومة سميح القاسم .

وانطلاقا من التفاصيل الصغيرة ، تأخذ الدلالة العامة ، جوهها النفسي المتوهج ، وكثافتها الضاغطة ، وهي دائما السمة الرئيسية في شعر سميح القاسم . هذه القدرة الفذة على ان تتكلم ادق التفاصيل وأبسطها ، في اطار التلاحم والتآزر ، بالمعنى العام والمشارك ، وعلى ان تنقل هذه التفاصيل طعم الارض ولون التقاليد ومذاق الوطن ، وان تفجر في الوقت نفسه ، شجنتها الداخلية ، طاقات التمرد والرفض والثورة ، ومراحل الغضب الثوري .. هذه المواجهة الساخنة ، هي دائما لغة سميح القاسم ، مواجهة التحدي والاصرار ، يحتشد لها باق التفاصيل ، وأخفى اليماءات ، ليضع نسيجه الشعري من لغة بسيطة متعمدة ، حادة ، لمواجهة ، شديدة الولوج بالوصول الى مضائق الاشياء . لتحرك ونحرض وتثير :

وجع الزمار البلدي

من حلوة

فارسها غاب

ومن يومين

عاد جواده

والدم يسح على الصهوة

فلمن ستزفرد مزهوة

وتصب القهوة ؟

\*\*\*

ان سميح القاسم ، يتكاثر الحزن الطافح في وجدان الشعب العربي . انه يعرف من أين يأتي وجع الزمار البلدي ، وكيف يسري ويتدفق هذا الشجو الحزين المتفوم ، يحمل قصص الشهداء والفائزين والصفار اليتامى ، وينقل سرطان الفجعية من كبد الى كبد .. ولكنه يفجر ، فيما يفجر ، عمق المأساة ، وهو يؤكد وعيه بالداه ، ويكسر جدار الاوجاع :

أعرف من أين

وجع الزمار البلدي

ياقصرها مهجورا

ترقص في ردهته البومة

يا شاعر شعب ، في شفتيه

مرثاة ملفومة

يا سرطانا ينهش في كبد

أعرف من أين

وجع الزمار البلدي

هل يكفي ان نقول : انه يحمل بصمات شعر المقاومة : الحزن النبيل ، والغضب الثوري ، واللغة الشعرية البسيطة ، الزاخرة بالتفاصيل والايحاء .

(( ودع لي منطق الرؤيا )) للشاعرة ملك عبدالعزيز

ما تزال هذه الشاعرة ، الصوت الذي يستحق ان يوضع في جدارة واستحقاق الى جوار نازك وهدوى وسلمى ، الشاعرات العربيات

## بِعلم : يوسف الشاروني

✱

يشتمل العدد الماضي من الاداب على اربع قصص بينها ثلاثة أوجه متشابهة :اولها أنها تدور جميعها حول المأساة التي تشغل اليوم عالما العربي ، وثانيها أنها بوجه عام قصص قصيرة أي ليست من نوع القصة القصيرة الطويلة حتى أن قصتين منها لا تتجاوز صفحة واحدة ، وثالثها - وقد يكون ذلك بالنسبة لي ، انها بقلم قصاصين أقرأ لهم أول مرة ، ولعل لهم محاولات أخرى لم يتح لي أن اطلع عليها .

اما بالنسبة للنقطة الاولى وهي أنها قصص تستوحي مأسائنا فلست ادري هل هذا يعود الى أن معظم ما يرسل للادب من قصص يدور حول هذا الموضوع أم ان تحرير الادب هو الذي يختار من بين ما يرسل له من قصص تلك التي تتناول ذلك الموضوع . سؤال أوجهه الى رئاسة التحرير لان الإجابة الفنية - حتى اليوم - في عالم القصة عسيرة حين تعرض لموضوع فلسطين ، وما تردد من اصداء له في عالما العربي . وقد ظهرت تعليقات كثيرة لذلك أهمها أننا نعيش اليوم في قلب الأحداث ، وان الفن يتطلب وجود مسافة زمنية حتى لا يصبح تحت رحمة الانفعال ، مما يجعله عرضة لزلق التعبير المباشر أو عدم التعبير عنه تصيرا دراميا ناجحا . ومن ناحية أخرى يحس كثير من الادباء بالخجل حين يمارسون القول في وقت كان عليهم أن يمارسوا فيه الفعل . غير أن القول - في عالم اليوم - لا يقل أثرا عن الفعل . فالحضارات تعبر عن نفسها تعبيراً متوازياً فعلا وقولا ، وقد تعلمنا منذ الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ أن اقناع العالم بعدالة قضيتنا يجب ان يتم فعلا وقولا .

### (( الموت داخل الكتب وخارجها )) لنيروز مالك

لهذا سأبدأ بهذه القصة لأنها تتناول موضوع المقارنة بين القول والفعل كما يدلنا على ذلك عنوانها : داخل الكتب وخارجها . فسميد كان لا يصرف نفوده انما يدخرها حتى اذا تجمع له ثمن كتاب سارع الى مكتبة المخيم ليشتري منها واحدا . وعندما يسأله والده ماذا يجد فيها يجيبه : حتى الان لا شيء . غير أنه عندما اشترى ذات يوم كتاب (( رجال في الشمس )) لفسان كنفاني لم يتم حتى قرأه كله ، وقام في الصباح ليعلم انه كتاب رائع .

وتوقف سميد عن القراءة ليمارس الفعل ، كانها هناك تضارب بين الاثنين حتى ليعلم سميد أن الكتب طريقها عقيم . وحين هم سميد بالذهاب داعب أخاه الأصغر باسل قائلا : ان لم اعسد ساكون في انتظارك . ولم يعد سميد ، سقط على الارض التي كانت - كما قال أبوه - أعلى منه ومن باسل ومنا جميعا .

ورواه خرج باسل ، ترك والده صباحا في الثالثة عشرة من عمره وعاد ظهرا في العشرين . وهكذا انضم باسل الى المعسكر .

ولا يملك القاريء من التساؤل بعد قراءة القصة ، هل هناك حقا هذا التضارب بين القول والفعل ؟ هل ينصرف الانسان عن عالم الثقافة اذا هو انصرف الى القتال ؟ الا تعلمنا تجربتنا اليوم اننا لكي نحسن القتال لا بد وان نقرأ وأن نحسن ما نقرأ ، وان الحرب الحديثة علمية قبل ان تكون حروبا عضلية ، وانها حرب حضارات : ثقافة ومسلكا قبل كل شيء ؟

### الدوائر الخمس بقلم نواف أبو الهيجاء :

اما هذه القصة فهي اكثر القصص الاربعة احتفاء بالشكل . بطلها بلا اسم يتحدث بضمير المتكلم . والوحدة الزمنية في القصة تتحقق من حيث أنها تتناول لحظة يتعرض فيها البطل للتعذيب للحصول منه على اعتراف . لكن هذه اللحظة تضم حياته كلها ، فالانفعال يتم ما بين العالين الخارجي ( حيث وسائل التعذيب ووقصها على البطل وحيث تصف محاولات معذبه للحصول على اعتراف منه ) والعالم الداخلي

حيث نطلع على لمحات من حياته ابتداء من طفولته . وحيث نندرك الترابط بين حاضره كفدائي صلب يابى الاعتراف بشيء ، وماضيه كلاجيء مطرود من ارضه . ويتم الانتقال ما بين العالين عن طريق اللفظ والمعنى ، فحين يهدونه بالتعذيب باسلاك النار يترد الى طفولته حين حاول عبور الاسلاك الشائكة بمسكوك الشعبية قرب البصرة ، ويمكن لمحاولة اجتياز هذه الاسلاك ان تكون دلالة على محاولة التمرد على الوضع الذي يراد له - ولبنية اللاجئ - ان يكون محصورا فيه . وعندما يلعب مع زميله قدرتي ويفرسان سكينهما في قلب الرمال ، تترد الى الحاضر لنسمع معذبه يهدده بانتراع قلبه منه . وعندما يحرقون رموش عينيه يعود فيذكر حريقا اندلع في تجمعات اللاجئيين بفقدان منذ عشرين عاما . . . وهكذا حتى نندرك من تسلسل ذكرياته انه الان أب له زوجة وله طفل . . . الى ان يغيب عن الوجود وهو ما يزال يرفض الاعتراف ، وتنتهي القصة بنفس الكلمة التي بدأ بها وهي (( كلا )) مما يكشف عن تصميم القصة الهندسي .

### الخط الوهمي لمحمد علي طه :

اما هذه القصة المنقولة عن جريدة الاتحاد بالارض المحتلة كما فهمت فحيزها أقل بكثير مما تريد ان تنقل من مشاعر ، انها تحكي قصة أخوين يتقابلان في القدس حيث يفصل بينهما الخط الوهمي ، فلا يكادان يتعرفان على بعضهما ويتعانقان حتى تفصل القوة بينهما . والقصة مبرر عنها من زاوية أحد الشقيقتين وفيها يذكر - وهو في طريقه الى أخيه - ومضات من طفولته ومخاوفه من الا يعترف على أخيه بعد فرقة دامت ثمانية عشر عاما . شعرت ان هناك تفاصيل كثيرة دقيقة وهامة لم يبرزها كاتب القصة ، فألما فتح لنا متجما . ولم يستخرج منه الا أقله . هل القصة كتبت على عجل ، فقد كان يمكن التصرف اكثر على الشخصيتين الرئيسيتين في القصة وعلى ما يعتمل في عالمها الداخلي قبل وأثناء هذه اللحظة الهائلة ، لحظة التقابل التي ما تكاد تتم بعد هذا الفراغ الطويل حتى تنهيهما القوة .

### فوق الشجرة لاميمه أبو النصر :

بقيت أخيرا هذه القصة ، وبطلها عامل فلسطيني في الارض المحتلة - بلا اسم - كان عائدا مع زملائه من عملهم في سياراتهم ، حين وجد زملاؤه ينساقطون في لحظة تحت رصاص الجنود دون ان يعرفوا السبب ونجا هو وحده ، فلجأ الى شجرة يحتمي بها لمدة ثلاثة أيام حتى اكتشفه أهل قريته . وزاوية الرؤيا في القصة هي العالم الداخلي للشخصية الرئيسية في القصة ، حيث تذكرنا بقصة الدوائر الخمس ، فنحن ننقل ما بين الماضي والحاضر وما بين العالين الداخلي والخارجي . وكما تبدأ قصة الدوائر الخمس بما تنتهي اليه ، فان قصة فوق الشجرة تنتهي أيضا بما ابتدأت به وهو وجود البطل فوق الشجرة .

وهذه القصة كسابقتها لم تستوعب المشاعر وتفاصيل الأحداث استيعابا تاما . وقد ذكرتني على الفور بقصة للكاتب الروسي سيرجيف تسينسكي بعنوان (( رجل لا تستطيع قتله . ضمن مجموعة نشرتها دار فاير بلندن ، حيث نثر على موضوع مشابه لكن كاتبها استطاع ان يقنعنا انه عايش شخصيته معايشة الصديق لصديقه .

بقي اعتراف أخير أريد أن اصرح به يتصل بالآثر العام الذي كونهت قراءة القصص الاربعة في نفسي برغم تفاوتها من حيث المستوى . ذلك انه لم أحس ان هناك جهدا مبثولا وراء كتابة معظم هذه القصص . وقد وجهت اللوم الى نفسي أولا وقلت لعل كتابها شباب وهذه دلالات انفصال بين جيل الشباب وجيلنا الذي يحلو للبعض أن يسميه جيل الوسط . لكن خبرتي في مسابقات نادي القصة بالقاهرة - ومعظم المتقدمين اليها من الشباب وحيث يتاح لي أن أفحص ما بين خمسين الى مائة قصة قصيرة ، علمتني ان القصة الجيدة تجريبية كانت أو تقليدية تفرض نفسها على القاريء .

## تتمة القصائد

\*\*\*

الثلاث ، الرهافة التي تصنع منها شبح بنائها الشعري ، والموسيقى الناعمة المناسبة في هدوء واتساق ، وهذه الغمامة الحزينة الغافية تظلل آفاقها الرمادية ، هي دائما سمات هذه الشعاعية الخصبة ، وهذه القصيدة الجديدة ، للشاعرة ملك عبد العزيز ، هي حلقة جديدة في تيار التأمل الشعري العميق الذي تستغرق فيه الشاعرة ، وينعكس على قصائدها الاخيرة جميعا ، ذوب قلب يقظ ، وانصهار صوفية غامرة ، تتلمس المعاني والكلمات والاشياء ، تلمس حب وتقديس ، وتتعامل مع تجاربها الكونية ، في مودة ورضا وسماحة ، وتصفي من ينبوع نفسها النثر ، على قسمات عالها الشعري :

لي الرؤيا

مخضبة بكل معارك الاحرار

وشامخة ..

تشع النار والانوار

أغني ، بل أغني للمدى المنداح

وأشدد من اناشيدي احتواء الكل والمطلق

سيتبني الفؤاد غدا

سينبتهم تراب الارض .

فكم شرب التراب الخصب من عرق الحياة ،

وكم تقذى من أسى دمهم ...

ان التأمل الشعري الصافي ، يصل جزئيات الحياة - لدى هذه الشاعرة - بالكل والمطلق ، ويحملنا من الخاص الى العام ، ويجتاز بنا عالها الخصب الرحيب ، الذي يصم هملت العصر بالانهزامية والتوقف ، ويصل بنا الى منطقة الفعل والتحقيق . وهكذا تصبح هذه « الرؤيا » اجتيازا ثوريا لعالم الحكمة العرجاء ، ومناهات الظن ، واطلالة على قلب الشعب ومنطق التاريخ .

### « لعبة التبارات الضوئية » لمدوح عدوان

بالرغم من ان سيطرة التعبير الشعري على آفاق هذه القصيدة لم تكن في مثل وهج تجربتها ، الا ان هذه القصيدة هزنتي . هل هو هذا البعد الثاني يطل من بعيد ، موحيا ، مفسرا ، يلقي بقطرات الضوء على لعبة الاحمر والاخضر ، بين الانطلاق والتوقف ، حيث تتجمد الحركة ، ويتوقف الفعل ، ويصبح المصير ، ليس فقط مصير فرد ، ام انها هذه البساطة الشديدة ، التي حملت روح التجربة والوقت بها في سماحة ويسر ، دون اصطناع او تفخر . او محاولة للإيهام بالرمز الخفي ، او المعنى الشارد ، او الاحتماء خلف سياج الزخرف الكاذب ، وضباب العبت الاجوف ، ام هي هذه الموسيقية المناسبة ، تصل لمقاطع القصيدة بدائرة نغمية واحدة ، بالغة الحرص على التقفية ، التي تولد بدورها ايقاعا متصلا ، يواكب لعبة الشارات الضوئية ، بين الاحمر والاخضر ، والانطلاق والتوقف .

وأنا واقف ..

أرقب من ركني هذا الجمع الخائف .

أرقب كيف تصير المدن متاحف ..

كيف تصير الخيل سلاحف ..

وإذا غضب الشرطي ، وجاء لينهرني

لن اتردد ، لن تخفني الرهبة

وسألقي تحت حدائيه اللماعين بقلبي الواجف .

هل أقول ان بعض مقاطع القصيدة، أفلتت صباغتها من بين أنامل الشاعر ، فاقتربت من برودة النثر ، وجعلت خط القصيدة البياني ، يتعرج في بعض المنحنيات ..

وأنا لست بخائف

ولذا اتوقف في هذا الركن المكسور

أرقب ما يجري وفي « ناشف »

لم يبق لدي فضول

لم يبق هنا معنى للنور

أو معنى للمسحوق أو المحظور

ان بساطة التجربة ، وغناها ، ودلالاتها العميقة ، تجعلني أطالب الشاعر بسيطرة فضلى ، على لغته الشعرية « سيطرة تسمح بالاختيار ، وتنفي الحشو الهزيل .

### ه حزيان للشاعرة سلافية حجاوي

أظلم هذه القصيدة كثيرا ، لو قرأتها في ظل شعر المقاومة . لكن قصيدتي ، سمح القاسم ، في مستهل الآداب ، تخلعان ظلها شئت ام أبيت على قصائد هذا العدد . لا مفر آذن من ان اضطرب بين شعر الحركة وشعر السكون ، بين الجديد المفاجيء ، والتقليدي المتواتر ، بين الحار المتدفق ، والآخرس الجامد ..

يا من رحلوا ...

يا من رحلوا في الصحراء

في الصحراء بدون رداء

في الصحراء بدون رداء

وشيوخ تزحف كالأحزان

وصغار تشربها الشيطان .

وخيام تنصب بعد خيام

وفئات تجمع للاتبام

ودم الشهداء يفور بكل بقية ماء ..

هل يشفع لهذه القصيدة ، ايماءاتها الحزينة، الفائرة في النفس، وروح الامومة الحانية ، تطل وترنو من بين الكلمات ، وحشد من الصور المشحونة بالذكريات الساخنة عن حيفا وعكا وفلسطين الام ، وصرخة في ختام القصيدة تؤكد ان ،

فلسطين درب من نار

ترقب في الليل خطى الشوار .

لا أظن ذلك كله ، ينهض بالقصيدة ، ليجعل منها نعمة جديدة في وتر الشعر القومي . ان سمة « الامومة » تبقى هي اللمسة الوحيدة المضيئة التي تلوح وتخفني ، تقيم وتبرق في سماء هذه القصيدة ، التي تظل وعدا يرجو ان يتحقق .

### أبجدية القهر والغضب للشاعر حبيب صادق

أختار ان انهي الحديث عن هذه القصيدة ، التي تشير الى ظاهرة من لوان مختلف . ان الشاعر هنا ينطلق من منطقة الانفعال الشعري العام ، محاولا ان يلم من هيلواه القائمة شتات نسيج القصيدة . صحيح انه يشير الى ان القصيدة من مطولة شعرية بهذا العنوان ، ولكن هذا لا يشفع له في تبرير القموض الذي جمدت فيه القصيدة وتقومت دون ان يتاح للتجربة فرصة التمثل ، التي تعطي للمتلقى معنى ودلالة . والا فهل يكفي هذا الزخم المتلاحق من الصور المحشودة حشوا ، لبناء نسيج حي نام متآزر ، يعمق الشعور بتجربة ما ،

تلك خيول النار غرقى في رمال الليل

لا نامة الا صدى السكون

مخالب الوحشة ، في أوردة الميون

تفوص مثل الحزن في لدائن الشعور

تمزقت

تناثرت أشعة الضياء

لا نجمة تسبح في بحيرة المساء

البيد تمتص المدى ،

الى متى يحتضر المصفور

الى متى ؟ وحده في حديقة الشتاء ؟

هاجرت الفصون .

لم يبق الا الطحلب السافط من مدائن الخراب ..

... الخ ...

هذا الزحام المتلاخق من الصور ، والتراكيب ، يتراكم دون أن يضيف ، أو تلقى في النفس جمرة حارة متوقدة ، تضيء بالتجربة الإدماغة والمعنى المضيء . ويبقى مجرد استعراض لقدرة الشاعر على استهواء الألفاظ والتراكيب الغريبة ، بدعوى الوعي والتأمل ..

هنا تقني النار للنحاس والحديد

هنا تفيض أنهر الجحيم

تعمدي بالقر ياملكة الخصيان

وليتوهج في العيون الشبق السعير .

ان هذه القصيدة نموذج للون من الشعر ، يشغل الآن مساحة لا بأس بها واخشى أن تكون هذه المسحة الضبابية التي يستتر بها، قشرة تخفي عمومية التجربة ، أو سطحيها ، أو فطحتيها .. والشعر في جوهره خصوصية ، وعمق وتركيز .. خاصة وأن مثل هذا الفموض الذي تحمله القصيدة لا يضع بين يدي المتلقي مفاتيح العالم النفسي للشاعر ، ودلالات الرموز المتتابعة التي تزخر بها القصيدة .. وعندما يتوقف الرمز عن أن يحمل معنى ، وتعمد المفاتيح الموصلة الى عالم الشاعر ، تفقد القصيدة معناها ، وتصبح مجرد قدرة « رياضية » ذهنية ..

\*\*\*

يبقى أن أتوجه باعتذاري العميق للشعراء : سلمان الجبوري ، وأحمد دجور ، وفؤاد الخشن .. أملا أن التقى معهم في فضاء قادمة .  
القاهرة

فاروق شوشة

\*\*\*

## تتمة - الأبحاث

هامة لشاعر المقاومة محمود درويش بعنوان « انقلدنا من هذا الحب القاسي ! » ويتضمن المقال عرضا بالسخ الاتزان والموضوعية لمشكلة الشعر الفلسطيني ، والاتجاهات المختلفة للنقاد العرب ازاءه . ويكشف المقال في صراحة عن بعض ردود الفعل الانفعالية لهذا الشعر الذي يبدهه جيل من الشعراء العرب في الارض المحتلة ، والتي كادت تقول ان هذا هو الشعر الذي لا شعر بعده . ويبين محمود درويش ان هذا الشعر ليس سوى رافد من روافد نهر الشعر العربي الكبير ، وهو رافد تغذى على حيوية هذا النهر الزاخرة .

ثم يشير محمود درويش الى قضية هامة هي : كيف يمكن ان نشتر على المحك الذي نستطيع على اساسه المفاضلة بين الشعر الذي ينتجه الشعراء العرب في الارض المحتلة وغيرهم ؟ يرى محمود درويش انه قد يكون من الجائز - الى حد ما - القول ان الشعر العربي الذي يكتب في اسرائيل بشكل عام اقرب الى صدق التجربة والاصالة من غيره في تصويره صراع الانسان الفلسطيني .

وهذا الرأي يستحق منا وقفة قصيرة عنده ، خصوصا وان الدكتور عبد الفغار مكاي قد ذهب الى نفس الرأي في تعليقه على القصائد التي نشرت في العدد الماضي من الآداب . يقول الدكتور مكاي « .. هذا وقت المفامرة والجسارة ، وقت الصدق ! وطبيعي ان لا يقدر على هذا الا من كانت يدهم في النار . وطبيعي ان تأتي اصدق اشعار المقاومة من شعراء يقاومون بالفعل » . ثم يضيف في موضع آخر « لا نستطيع ان أقبل شعرا عن المقاومة من شاعر يثرثر في مفاهي القاهرة او يعيش في الحجرات المكيفة الهواء في غيرها من المدن العربية » .

ما مدى صحة هذا الرأي ؟ هل صحيح ان الشعر الجيد عن

المقاومة لا يمكن ان يبدهه الا من يعيش في الميدان فعلا يكتوي بناره ، وينفعل انفعالا مباشرا بالتجربة ؟ هل صحيح أننا ينبغي ان نرفض ابتداء شعر معين بيسيسو لانه يقيم في القاهرة ، وان نقبل ابتداء - أيضا - شعر محمود درويش لانه يقيم في الارض المحتلة ؟

لقد سبق لنا في العدد الماضي في تعقيبنا على مقال لغالي شكري ان رفضنا تفرقة التفسيرية بين شعراء المعارضة الذين يقيمون داخل الارض المحتلة وبين شعراء المقاومة الذين يقيمون خارج الارض المحتلة . ونحن هنا أيضا لا نستطيع ان نقبل معايير خارجة تماما على نطاق

العمل الادبي نفسه للحكم على صدقه او زيفه ، جودته او رداءته . فمثل هذه المعايير - ان قبلت - تقتضي من فارئ الشعر ان يسأل أولا : أين يقيم الشاعر صاحب القصيدة ؟ أقيم داخل الارض المحتلة أم في القاهرة او دمشق او بغداد ؟ وهل يحيا حياة رخيصة وينعم بالكتابة والمعيش في حجرات مكيفة الهواء أم يحيا حياة متشقة تناسب مع جلال الموضوع الذي يعالجه وهو المقاومة ؟

الحقيقة ان مثل هذه المعايير الايكولوجية - التي تتعلق بأين يقيم الشاعر ، او كيف يحيا لا تصلح في رأينا اساسا لقبول الشعر أو رفضه او الحكم على جودته او رداءته ، صدقه او زيفه .

ان القصيدة الجيدة الصادقة تنفذ الى وجدان القارئ المتفوق بغير وساطة ، وبغير حاجة الى بحث اجتماعي عن حالة الشاعر . ومن هنا نختلف مع محمود درويش ومع الدكتور مكاي في ربط صدق الشاعر بمكان اقامته ومعايشته اليومية للاحداث . قرب شاعر يقيم في القاهرة يبدع عن المقاومة قصائد يعجز زميل له يقيم فعلا في الارض المحتلة عن ابداع مثلها . وقد يحاول - كما اشار محمود درويش - شاعر عربي يقيم في الارض المحتلة ان يصمم قصائده وفقا لمقاييس غريبة عن الصدق !

وخلاصة رأينا أننا نرفض هذا المعيار « الايكولوجي » لتقييم الشعر . ولكن بقي سؤال هام : ما هو - على وجه التحديد - معنى الصدق الذي ركز عليه محمود درويش وعبد الفغار مكاي ؟ سؤال مطروح لنقادنا المعنيين بالشعر ومشكلاته .

٣ - وينقلنا بعد ذلك الاستاذ سمير احمد ندا من الشعر الى الرواية ببحث وجيز له بعنوان « نجيب محفوظ والمتناظير » . والحقيقة ان هذا المقال يثير مشكلة اعم من موضوع الدراسة ، وهي مشكلة المنهج في النقد الادبي . فكثير من الكتابات النقدية العربية يعوزها المنهج الذي نستطيع على ضوءه ان نتفق او نختلف مع الناقد . واذا سلمنا بأن هناك في النقد الادبي المعاصر مدارس ثلاثا أساسية : سوسولوجية ، وسيكولوجية ، وفلسفية ، فانه يمكننا القول ان مقال سمير ندا يقع داخل دائرة النقد الفلسفي للاعمال الادبية . والنقد الفلسفي كما يمارس في الآداب الاجنبية ، يقتضي من الناقد معايشة منعمقة لكل اعمال الاديب المدروس ، حتى يستطيع ان يكشف في جلاء عن نظراته الى العالم ، وعن القضايا الميتافيزيقية الرئيسية التي ييشها بين تضاعيف سطوره في اعماله المختلفة . على ضوء هذه الاعتبارات العامة - التي لا يتسع المجال للتفصيل فيها (١) - يمكن لنا ان نحكم على مدى توفيق سمير ندا في دراسة لنجيب محفوظ من هذه الزاوية .

قدم الكاتب لموضوعه بمقدمة سريعة حرص فيها على ان يشرح - في هامش - مصطلح الميتافيزيقا ، ثم انتهى سريعا الى حكم مضمونه ان « خلفية نجيب محفوظ تختلف كثيرا عن تلك التي يصدر عنها الآخرون ، فقد تميزت معظم اعماله عن الدوحة الروائية الميتافيزيقية

١ - سبق لنا - في اطار مناقشتنا لمدرسة النقد الادبي الجديد في فرنسا - ان عرضنا لهذا الموضوع بشيء من الافاضة . انظر : السيد يس ، النقد الادبي والفلسفة ، مجلة ( الكاتب ) القاهرية ، عام ١٩٦٨ .

الأوروبية وفي مقدمتها جويس وبروست ثم سارتر وكامو وبيكيت ويونيسكو ، وكذا الرواية الروسية وعلى رأسها فيدور دوستوفسكي » .  
ولا ادري ماذا يقصد الكاتب بهذه الدوحة الروائية الميتافيزيقية الأوروبية ؟ غير ان اهم من ذلك كله ان الكاتب قنع بتسجيل هذا الحكم بدون ان يجهد نفسه في أي تدليل على صدقه . وعلى ذلك فالقارئ لا يستطيع ان يعرف كيف يختلف نجيب محفوظ عن هذا الطابور الطويل من الاسماء الالامعة ؟

وبعد اشارة سريعة الى اقتران الميتافيزيقا بالرواية والاعتراض على ذلك ، انتقل مرة ثانية الى نجيب محفوظ نقرر انه - بعد ان اجتاز رحلته التاريخية في ثلاثيته الفرعونية - شرع في اقتحام الواقع ومواجهة شخصه ، متزودا بهذا الرصيد المتناثر من الغيبات والفكر الليبرالي ، ثم من المنطق العلمي والفكر الاشتراكي .

وقد كنا نتوقع من الكاتب ان يدرس لنا اعمال نجيب محفوظ على ضوء هاتين الرحلتين التمايزيتين : مرحلة الايمان بالغيبيات والفكر الليبرالي ، ثم مرحلة الايمان بالمنطق العلمي والفكر الاشتراكي ، هذا اذا صدق انه يمكن التمييز بين هاتين الرحلتين عند نجيب محفوظ . ولكن الكاتب قنع بالاشارة الى رواية « القاهرة الجديدة » وغلبه الفكر فيها على المعالجة الدرامية . ثم انتقل بدون تهديد للحديث عن شخصية كمال عبد الجواد واندفاعه لخوض غمار تجربة البحث عن الحقيقة ، والتماسه للنجاح في ايمانه بنظرية دارون . ويشير بعد ذلك الى البلبلة الفكرية التي يعاني منها ابطال نجيب محفوظ اقرب السى « القلق الوجودي » .

وينتقل الكاتب بعد ذلك الى مناقشة نقطة هامة وان لم يعطها حقها للأسف من الدراسة وهي : اذا كان ضياع الابطال في روايات نجيب محفوظ الاولى ربحه تفسيره في الظروف التاريخية والاجتماعية والسياسية التي كانوا يعيشون في ظلها ، فكيف نفسر ضياع الابطال الجدد : سعيد مهران ، وصابر الرحيمي ، وعمر الحزواوي ، وانيس زكي ، مع ان المجتمع قد تغير ودوافع الازمة لدى الابطال القدامى قد انتفت ؟

حاول الكاتب - عن طريق استخدامه لمقتطفات من حوار نجيب محفوظ - ان يفسر هذه المشكلة ، ولكنه لم يوفق ، وان كان قد حاول ان يعثر على الخيوط الممتدة بين ابطال نجيب محفوظ بالرغم من تعدد اسمائهم .

ان دراسة نجيب محفوظ من وجهة نظر النقد الادبي الفلسفي دراسة هامة في ذاتها ، ولكنها تحتاج في الواقع الى ناقد ادبي متميق ، يبدو امتلاكه لزام المنهج في معالجته لهذا الموضوع المعقد . ان مقال سمير ندا لم يرتفع الى هذا المستوى ، وان كان يشير في نهاية مقاله الى انه سيواصل دراسة الموضوع ، ولذلك نامسل ان تكون دراساته القادمة اكثر منهجية ووضوحا في عرض الافكار وفي مناقشتها .

٤ - ويأتي بعد ذلك دور الفلسفة في بحث الاستاذ عزيز السيد جاسم عن « العلاقات الجدلية بين النظرية والثورة » .

يبدأ الكاتب بحثه بتقرير حقيقة لا مجال للجدل بصدها ، وهي ان سمة عصرنا الاساسية هي التحول الاشتراكي . وهذا يتفق مع ما قرره جان بول سارتر في كتابه « نقد العقل الجدلي » من ان الاشتراكية العلمية هي فلسفة القرن العشرين . والحقيقة ان هذا ليس مجرد حكم نظري ، بل هو تسجيل للوقائع الملموسة في المجتمع العالمي ، حيث يدين مئات الملايين من البشر بالاشتراكية التي تكسب كل يوم ارضا جديدة .

ويشير الكاتب اشارة صائبة الى تعدد الطرق التي يسلكها التحول الاشتراكي في الوقت الراهن من ناحية ، والى تعدد الاساليب التي تنتهجها الرأسمالية من ناحية اخرى للحفاظ على حياتها . ومن هنا تتعدد اساليب النضال لدى المكافحين في سبيل التحول الاشتراكي

لواجهة الوجود المتعددة للرأسمالية المعاصرة .

نحن اذن في فترة نضال من أجل التحول الاشتراكي ، فهل يستطيع الفكر الثوري ان يقف بعيدا عن عمليات التغيير التي تأخذ مجراها ؟ يجيب الكاتب ان الفكر الثوري يتجاوب بشكل كلي مع الفعاليات الثورية .

ثم ينتقل الكاتب الى تحديد هدفه من كتابة بحثه ، فيذهب الى ان الثورة العربية تمر بأزمة فكر حيث لا تزال الاقسام الوسيطة من الفكر العربي تحبو تحت ضغط التقليد الغيبي والتحليل الرجعي والتفعية البورجوازية ، ومن هنا ينبو ضروريا مناقشة عدد من الموضوعات كمساهمة اولية ومدخل للقضية الاساسية ، قضية اعداد فكر ثوري عربي ممتلئ يتحرك بالثورة وتتحرك به الى اهدافها القصوى .  
وقد ناقش الكاتب في هذا المقال - وهو حلقة أولى في سلسلة من المقالات ثلاثة موضوعات اساسية هي : هل الفكر سابق للثورة ام بالعكس تاريخيا ؟ والعلاقة بين الفكر والبناء التحتي ، واخيرا النظرية الثورية والفكر عند الثوري .

وقد كنا نأمل من الكاتب ان يبدأ اولاً بتشخيص ازمة الفكر التي تمر بها الثورة العربية ومحاولة تفسير العوامل التي ادت اليها ، وكذلك طرق القضاء عليها - او على الأقل - وسائل الخروج منها . فكل في الحقيقة قضية القضايا ان صح التعبير ، وليس هناك مجال لاي عمل ثوري موحد وفعال الا اذا استند الى ارض صلبة من فهم الواقع العربي المعاصر . بفسر هذا الفهم تصبح كثير من النظريات والدعوات والشعارات مجرد نداءات يوتوية لن يتاح لها التطبيق .

يبدأ الكاتب مناقشة للموضوع الاول بعبارة تقريرية حاسمة :  
ان روح الثورة في الانسان هي السابقة . ويستخدم الكاتب هذا « المصطلح » روح الثورة استخداما واسعا جدا . فهذه الروح هي التي تفذي تصرفات الانسان وتحدد له وظيفته العامة ازاء الكون وازاء علاقاته الاجتماعية اليومية » . وهذه الروح طبيعية في الانسان ولكنها تتخذ اشكالا عديدة فقد تكون بدائية راكدة ، او بدائية عنفوانية ، وقد تكون واعية سلبية او ايجابية واعية . وروح الثورة عند الانسان لا يمكن قهرها على « العاطفة » او على « العقل » بل هي مزيج من العقل والعاطفة .

ويتضح مدى اتساع دائرة استخدام عبارة « روح الثورة » عند الكاتب . في اعتباره ان لوجود الانسان الى استعمال « العصا » او « الحجر » بمعنى ان روح الثورة في الانسان هي التمرد الطبيعي على الوضع السلبي الحيواني . غير ان ظهور تقسيم العمل في المجتمع هو اول سبب رئيسي حاسم اعطى لروح الثورة في الانسان - في نظر الكاتب - وضعها العياني البارزة وبعدما يتحدث الكاتب عن ظهور التقسيم بين الرجل والمرأة كأول تقسيم اجتماعي للعمل ، وكذلك التقسيم الناتج عن الزراعة والصيد ، وبعد ذلك الزراعة والرعي وآثار ذلك في وعي الانسان بالثورة الكامنة في اعماقه ، يخلص السى ان الصراع الطبقي قد بلور روح الثورة بلورة عميقة ودفع بها الى حنود اخرى خارج الذات وبشكل عملي وجمعي محسوس .

ويتساءل الكاتب : هل كانت ثورة سبارتاكوس مزودة بفكر ثوري او على الأقل بنظرية في الثورة ؟ ويرد على ذلك بالنفي . ثم يخلص الى نتيجة هامة هي ان اغلب الحركات الثورية قبل العهد البورجوازي كانت حركات مفتقرة الى الفكر الثوري .

والحقيقة ان قبول او رفض هذه النتيجة التي يخلص اليها الكاتب ، يعتمد على معرفة ماذا يقصده بالثورة وبالفكر الثوري على وجه التحديد . ان تحديد المصطلحات تحديدا دقيقا هو الذي يجعل مناقشة آراء الكاتب ممكنة ، خصوصا اذا ما تطلعت هذه الآراء بحكم تعميمي عن حقبة كاملة من تاريخ الانسانية . غير أننا لا نستطيع ان نعرف على وجه التحديد وجهة نظر الكاتب في تعريف الثورة والفكر

الثوري وخصوصا اذا ما اردنا استخدام هذه المصطلحات بالنسبة للمجتمعات التاريخية القديمة .

ثم ينتقل الكاتب الى الاجابة على سؤال هام : هل كل الثورات تكون مسبقة بفكر تحريفي وداع للثورة ؟ يميز الكاتب تمييزا اساسيا بين الثورات الاشتراكية والديموقراطية وبين الثورات الوطنية أو التحررية . بالنسبة للثورات الاولى نجد انها تعد نتيجة فكري ثوري سابق عليها ، اما بالنسبة للنوع الثاني من الثورات فهي تتم بدون ان يسبقها اعداد نظري متكامل ، بل تتم ضمن افكار محدودة ومعنية تتعلق باساسيات وطنية دون افاضة من الرؤية الثورية . ويضرب مثلا لذلك بالثورة الكوبية التي تفجرت اولاً وسارت شوطاً ، ثم اختارت النظرية الثورية بعد نجاحها . ويخلص الكاتب من مناقشة هذا الموضوع الى نتيجة هامة هي انه ليس من المحتم تأجيل اطلاق ساعة الثورة الى ان تكتمل النظرية الثورية ، وان كان هذا لا ينفي ان الاعداد النظري السابق للثورة شرط ضروري لخلق الثورات الاصلية .

وينتقل الكاتب بعد ذلك لمناقشة الموضوع الثاني وهو عن العلاقة بين الفكر والبناء التحتي . والنظرية الاشتراكية العلمية قدمت نظرية بهذا الصدد تعد من الانجازات الحقيقية التي اضافتها الاشتراكية العلمية للفكر الانساني .

وقد بدأ الكاتب المناقشة بطرح السؤال الرئيسي الذي يثار دائما بصدد هذا الموضوع : هل فكر الناس هو الذي يخلق وجودهم ، ام ان وجودهم هو الذي يحدد افكارهم ؟

قدمت الاشتراكية العلمية ردها على هذا التساؤل على اساس التمييز في بنية المجتمع بين نوعين من البناء : البناء التحتي ويعني به مجموع ادوات الانتاج وعلاقات الانتاج ، والبناء الفوقي ويعني جماع به الافكار الدينية والسياسية والاجتماعية والقانونية . والبناء الفوقي يعتمد في وجوده على البناء التحتي ، فاذا تغير هذا الاخير ( أي ادوات الانتاج وعلاقات الانتاج ) فلا بد ان يتغير البناء الفوقي أيضا . ويحاول الكاتب ان يجيب على التساؤلات التي تثار بصدد نوعية العلاقة بين البناء التحتي والبناء الفوقي ، وهل هي علاقة حتمية من ناحية ، وهل هي علاقة ذات اتجاه واحد ام هي علاقة دياكتيكية من ناحية اخرى ؟

بالرغم من تسليم الكاتب بلزوم هذه العلاقة ، خلص الى ان للفكر فعالية خاصة ، وهو « بامتزاجه بالارادة الثورية قد يوفق في خلق مجتمع اشتراكي من رحم مجتمع متخلف ما دام العصر هو عصر الاشتراكية وتعاطف المسكر الاشتراكي » .

والحقيقة انه يبدو لنا ان الكاتب اراد ان يميز بين امرين مختلفين تمام الاختلاف . فوجهة النظر الكلاسيكية في الاشتراكية العلمية ترى بصدد العلاقة بين البناء التحتي والبناء الفوقي ان هناك صلة عضوية وثيقة بين الافكار والمثل والنظريات السياسية والاجتماعية السائدة وبين ادوات الانتاج وعلاقات الانتاج . ولتقرب مثالا محددًا .

م كان يتكون البناء التحتي للرأسمالية في بداية القرن مثلا ؟ كان يتكون من ادوات انتاج تتمثل في المصانع بالانتاج وفي الاراضي الزراعية . وكذلك من علاقات الانتاج بين الرأسماليين وكمال الملاك الزراعيين من جانب وبين العمال والفلاحين الاجراء في جانب اخر .

هذا البناء التحتي للمجتمع الرأسمالي كان يقابله بناء فوقي يتمثل - على سبيل المثال لا الحصر - في مجال الاقتصاد بالدعوة لمذهب المجتمع المفتوح والمشروع الحر ، وفي مجال القانون بنظرية ان العقد هو شريعة المتعاقدين ، وذلك لتبرير استغلال الانسان للانسان ، وفي مجال الاجتماع بنظرية الداروينية الاجتماعية التي صيغت على ضوء مسلمة داروين والتي تريد ان تبرر الاستغلال في المجتمع على اساس ان البقاء للأصلح وللأقوى .

هل معنى هذا استحالة وجود فكر آخر مضاد يعيش ولو على هامش الفكر الرسمي الذي يضع كل خدماته تحت امرة الرأسمالية ؟ لا على سبيل القطع . فقد وجد دائما في تاريخ الانسانية على هامش الفكر الرسمي الفكر المضاد الذي يحاول من خلال معارك طويلة وعنيفة التمهيد للتغييرات الكبرى في المجتمع . وجود هذا الفكر المضاد لا ينفي مطلقا اعتماد البناء الفوقي على البناء التحتي في المجتمع . والاشتراكية العلمية هنا ارادت ان تركز على ان لكل بناء تحتي بناء فوقيا ملتصقا به التتحام شديدا ، لدرجة ان مصير هذا البناء في تغيره وتطوره وزواله رهين بالتغير في البناء التحتي .

والحقيقة انه مما يحمد للكاتب اتساع افقه ومرونة تفكيره ، واذا شئنا الدقة لقلنا حرصه على تبني المنهج النقدي ، وحرصه على عدم قبول بعض القوالب النظرية الجامدة بغير تدبر . ويبدو ذلك كله في ادراكه لصعوبة وتقيد موضوع علاقة الفكر بالبناء التحتي . وأي باحث اتبحر له ان يفكر في هذا الموضوع من هذه الزاوية ، لا بد ان تجابهه اسئلة متعددة ليست هناك حتى الآن اجابات جاهزة عليها . وهي من ثم تحتاج فعلا كما ذهب الى ذلك الاستاذ عزيز الجاسم الى مناقشات عريضة ومتعمقة .

ونصل اخيرا الى الموضوع الثالث وهو النظرية الثورية والفكر عن الثوري . ويظهر في بداية مناقشة الكاتب لهذا الموضوع سماته الواضحة التي اشرنا اليها ومنهجه . فالنظرية الثورية اشبه بالبوصلية التي تحدد للثوري طريق السير ، ولكنها في نفس الوقت ليست صيغة كاملة ونهائية . فالنظرية الثورية ثمرة التفاعل بين الانظار المجردة والتجربة ، ومن هنا تكتسب النظرية الثورية حيويتها .

ويظهر اتساع افق الكاتب في تحديده لاسباب عقم النظرية الثورية . واهم هذه الاسباب ان يقنع انصار النظرية الثورية بها بحسبانها منتهى العلم بالواقع ، مما يؤدي الى عدم معرفة الواقع الحي المتجدد .

والسبب الثاني ان يتصور بعض الاشخاص الذين يعترفون نظرية ثورية كالماركسية انه يكفيهم ان يلوكوا بعض المبادئ العامة للمادية الديالكتيكية أو المادية التاريخية . ثم يقرر الكاتب انه « من المستحيل ان يكون المرء ماركسيا اذا لم يعرف عالمه ، مجتمعا واقتصاديا ، وسياسة وفنا وعلاقات » .

وما ذهب اليه الكاتب يتفق في جوهره مع كل الانتقادات التي وجهت الى الماركسية وخصوصا في فترة عقمها أيام الحقبة الستالينية .

فقد بدأ الامر وكان الماركسية قد امتلكت الحقيقة مرة واحدة والى الابد ، وليس هناك مجال من بعد سوى ترديد شعاراتها ومبادئها النظرية بطريقة ببقاوية ، مما جعل الامور تتشابه مع الاديبان واغلاق باب الاجتهاد الى غير ذلك .

ان النظرية الثورية ينبغي في واقع الامر معاملتها معاملة النظرية العلمية . والنظرية العلمية مهما بلغت من الدقة والشمول تظل - بمصطلحات مناهج البحث - فرضا اجرائيا ، ينبغي ان يخضع لاختبارات الواقع دواما وبغير توقف . وليس معنى ذلك ان أي حالة سلبية لا تفسرها النظرية كغيلة بهدما ، ولكن اذا تعدت هذه الحالات السلبية ، واصبحت هي القاعدة ، فلا بد اذن من طرح النظرية وابتداع نظرية أخرى اقدر على التفسير .

ه - ونتنقل بعد ذلك الى بحث عن « حرب التحرير العربية الفلسطينية : انطلاقتها وابعادها » للاستاذ هادي طعمة . ولعل اول انطباع يأخذه القارئ لهذا البحث ، السلاسة الواضحة في الاسلوب ، والمنهجية في عرض الكاتب لافكاره . وقد استعرض الكاتب استعراضا

سنوات في احدى الجرائد الفاهرية . واذا كنت لم اتابع ما نشره الشاروني بعد « قصة الزحام » . مما قد يجعل من حكمي عليه ناقصا او مبسرا ، الا انني اعتقد انه مما لا يجاوز الحقيقة كثيرا ان تقرر ان بعض النقاد بالفوا في تقدير نوعية القصة لتي يكتبها الشاروني . وليس بعيدا عن ذاكرتنا قول يحيى حفي عنه ذات مرة انه « استاذ في القصة القصيرة » . ما مدى صحة هذه الاحكام ؟ وما وضع يوسف الشاروني الحقيقي بين ابناء جيله ؟ وما مدى اسهامه الفعلي في تطوير القصة العربية ؟ وما مدى تاثر الاجيال الجديدة من القصاصين الشبان بانتاجه ؟

كل هذه الاسئلة كنا نتمنى لو اتيح للاستاذ احمد محمد عطية ان يجيب عنها ، وهو قادر على ذلك قطعا ، بحكم دراسته المتعمقة لقصص الشاروني في مراحلها المختلفة .

وفي رأيي ان الشاروني لو استطاع ان يحافظ على المستوى الرفيع الذي بلغه في قصة « الزحام » او ان يتجاوزه الى الاحسن ، لكان مقدرا له ان يلعب في تطوير القصة العربية دورا ابرز مما فعله حتى الآن . غير ان الاستاذ احمد محمد عطية - والمهدة عليه على كل حال - يذكر ان آخر قصص الشاروني المنشورة وهي « نظرية في الجلدة الفاسدة » يعيها المباشرة في التناول والاسلوب والنهاية . وقد يكون الاستاذ الشاروني خبيرا في التكنيك القصصي بولكن متى كانت الخبرة بالتكنيك وحدها شرطا لابداع قصص جيدة ؟ مازال اديباؤنا المعاصرون في حاجة الى تقييم حقيقي وموضوعي لانتاجهم . هل لنا ان نطلب من نقادنا الجادين مثل الاستاذ احمد محمد عطية قليلا من الدبلوماسية وكثيرا من الصراحة والموضوعية ؟

السيد يس

المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية - القاهرة

سريعا للمراحل التاريخية التي مرت بها الثورة العربية الفلسطينية، قبل أن يحلل وضع الاقطار العربية ، واتجاهات النظم العربية المختلفة ازاء قضية التحرير. غير ان اكثر اجزاء المقال أهمية هو الجزء الاخير الذي حاول فيه الكاتب تشخيص الوضع الراهن للمعركة الضارية بيننا وبين اسرائيل ، ودراسة مختلف الاحتمالات التي قد تنجم عن تصاعد العمليات الفدائية وتطورها الى حرب شعبية شاملة . والواقع ان المفاضلة بين الاحتمالات المختلفة قد يتفق عليها الباحثون المتابعون لتطورات الاوضاع وقد يختلفون ، ولكن أهم ما في المقال ايمان الكاتب الواضح بأن السبيل الامثل الذي يتعين على قوى الثورة العربية ان تخوضه هو حرب التحرير الشعبية .

٦ - واخيرا نصل الى بحث « من الازمة الى النكسة : مع انسان الشاروني » للاستاذ احمد محمد عطية . وهو بحث يحاول ان ينظر نظرة شاملة لادب القاص المصري يوسف الشاروني . ولا بد لي اولا من ان اسجل انطباعاتي الاولى عن المقال . اول ما يستلفت النظر ان الكاتب يتمتع بميزة العرض المنهجي المنظم لافكاره . واحس الان انني اكثر ثمن الالتحاق على هذه السمة الهامة عند بعض الكتاب في هذا العدد الذي اعرض له ، ولكن قد يكون ذلك في الحقيقة رد فعل لكثير من الكتابات الرديئة التي تجهد فيها مع كتابها لكي تستطيع ان تشر على خيط واحد متصل يعبر عن افكارهم فتفشل في ذلك . بحثنا هذا الذي تعرض له يتسم على العكس بالوضوح . غير ان اهم ما يتسم به الكاتب انه يكتب بأسلوب دبلوماسي رقيق ان صح التعبير . فبالرغم من اخلاصه الواضح في دراسة ادب الشاروني ، الا انه لم يجب على كثير من التساؤلات التي لا بد ان يشرها كل من اتبع له ان يتابع ادبه . والواقع انني اصدر في ذلك عن خبرة شخصية مع ادب الشاروني . فقد قرأت له مجموعتيه « العشاق الخمسة » و« رسالة الى امرأة » ، وقرأت له ايضا قصة « الزحام » التي نشرت منذ

# محمود احمد السيد

## رائد القصة الحديثة في العراق

تأليف

الدكتور علي جواد الطاهر

اول دراسة مسهبة عن رائد القصة العراقية الحديثة الذي اثار اهتمام المستشرقين والباحثين بما انتجته من روايات وقصص مهدت الطريق لجميع كتاب القصة الحديثة في العراق

يصدر هذا الشهر